تحويلُ القبلةِ دروسٌ وعبَر

للدكتور/ مُحمد حرز.. بتاريخ 15 شعبان 1446هـ، الموافق 14 فبراير 2025م

الْحَمْدُ لِلَّهِ، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وَأَشْكُرُهُ، وَأُثْنِي عَلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ، الْحَمْدُ لله، نَحْمَدُكَ اللهُمَّ يا مَنْ أَعَزَ عِبَادَهُ بِإِيمَانِهِمْ، وَخذلَ أَعْدَاءَهُمْ بِكُفْرِهِمْ وَعِصْيَانِهِمْ، نَحْمَدُكَ عَلَى نِعْمَةِ الإِسْلامِ، وَنَشْكُرُكَ إِذْ جَعَلْتَنَا مِنْ أُمةِ خَيْرِ الْأَنامِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ القائلِ في محكمِ التنزيلِ:{ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا} البقرة: 144، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلّا اللَّهُ وليُّ الصالحين، وَأشهدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وصفيُّهُ مِن خلقهِ وخليلُهُ، يا مصطفَى

وأَحسنُ منكَ لم ترَ قطُّ عيني ** وَأَجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النّسَاءُ

خلقتَ مبرأً منْ كلّ عيبٍ ** كأنكَ قدْ خلقتَ كما تشاءُ

فاللهُمّ صلِّ وسلمْ وزدْ وباركْ على النبيِّ المختارِ وعلى آلهِ وصحبهِ الأعلامِ، مصابيحِ الظلامِ، خيرِ هذه الأمةِ على الدوامِ، وعلى التابعينَ لهم بإحسانٍ والتزامٍ. أمَّا بعدُ .....فأوصيكُم ونفسِي أيُّها الأخيارُ بتقوى العزيزِ الغفارِ(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)(أل عمران : 102)

عبادَ الله : (تحويلُ القبلةِ دروسٌ وعبَر)عنوانُ وزارتِنا وعنوانُ خطبتِنا

عناصر اللقاء:

أولًا: وقفاتٌ مع تحويلِ القبلةِ.

ثانيــًا وأخيرًا: الشائعاتُ خطرٌ جسيمٌ.

أيُّها السادةُ: ما أحوجنَا إلى أنْ يكونَ حديثُنا في هذه الدقائقِ المعدودةِ عن تحويلِ القبلةِ دروسٌ وعبرٌ، وخاصةً ولنشعرَ جميعًا بأهميةِ المسجدِ الأقصَى في حياتِنَا وفي ديننَا وما يتعرضُ لهُ مِن انتهاكاتٍ بالليلِ والنهارِ، فهو أُولَى القبلتينِ ومسرَى الحبيبِ المصطفَى ﷺ واسألُ اللهَ أنْ يطهرَهُ مِن دنسِ اليهودِ، وخاصةً وتحويلُ القبلةِ مِن بيتِ المقدسِ إلى الكعبةِ مِن القضايا الهامةِ التي كانت اختبارًا وامتحانًا للمؤمنين، وقد كان الرسولُ الأمينُ متشوّقًا إلى ذلك، فلمَّا قضَى اللهُ الأمرَ بذلك فرحَ النبيُّ المختارُ وأصحابُهُ، وغضبَ اليهودُ والمشركونَ والمنافقونَ، ولم يضيع اللهُ صلاةَ مَن صلَّى إلى بيتِ المقدسِ قبلَ التحويلِ، بل سمَّى صلاتَهُم إيمانًا، قالَ جلَّ وعلا: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ) البقرة:143، وخاصةً والأحداثُ مِن حولِنَا كثيرةٌ ومتعددةٌ وظهرَ واضحًا وجليًّا للمصريين المخططُ والهدفُ منهُ وهو مصرُ الغاليةُ مصرُ صخرةُ الإسلامِ العاتيةُ لذا وجبَ علينَا أنْ نقفَ صفًّا واحدًا خلفَ قادتِنَا وجيشِنَا فلم يبقَ إلّا هو في الأمةِ العربيةِ، فمصرُ هي أمُّ البلادِ، وهي موطنُ المجاهدينَ والعُبادِ، قهرتْ قاهرتُهَا الأممَ، ووصلتْ بركاتُهَا إلى العربِ والعجمِ , سكنَهَا الأنبياءُ والصحابةُ والعلماءُ.

مصرُ الكنانةُ ما هانتْ على أحدٍ *** اللهُ يحرسُها عطفًا ويرعَاها

ندعوكَ يارب أن تحمى مرابعَها *** فالشمسُ عينٌ لها والليلُ نجواهَا

مَن شاهَدَ الأرْضَ وأَقْطَارَها *** والنَّاسَ أنواعًا وأجناسًا

ولا رأى مِصْرَ ولا أهلها *** فما رأى الدنيا ولا الناسَ

أولًا: وقفاتٌ مع تحويلِ القبلةِ.

أيُّها السادةُ: لقد وقعت في سيرةِ الرسولِ ﷺ حوادثُ فارقةٌ في توجيهِ مسيرةِ الأمةِ المسلمةِ، وحادثةُ تحويلِ القبلةِ مِن الحوادثِ الفارقةِ في تميُّزِ الصفِّ المسلمِ، وهتْكِ سرائرِ الحاقدينَ والمرجفين، وهكذا يظلُّ تحويلُ القبلةِ حدثًا فارقًا في تاريخِ الدَّعوةِ الإسلاميَّةِ، ومسيرةِ بناءِ، الدولةِ المسلمةِ، فعَنْ عَائِشَةَ -رضي اللهُ عنها- قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (إِنَّ الْيَهُود قَوْمٌ حُسَّدٌ وَإِنَّهُمْ لَا يَحْسُدُونَا عَلَى شَيْءٍ كَمَا يَحْسُدُونَا عَلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ الَّتِي هَدَانَا اللهُ لَهَا وَضَلُّوا عَنْهَا، وَعَلَى الْقِبْلَةِ الَّتِي هَدَانَا اللهُ لَهَا وَضَلُّوا عَنْهَا، وَعَلَى قَوْلِنَا خَلْفَ الْإِمَامِ: آمِينَ، وَعَلَى السَّلَامِ). فعندمَا قدمَ النبيُّ ﷺ مِن مكةَ إلى المدينةِ كان يستقبلُ بيتَ المقدسِ، وبقيَ على ذلكَ ستةَ - أو سبعةَ - عشرَ شهراً، كما ثبتَ في الصحيحينِ مِن حديثِ البَرَاءِ بنِ عازبٍ -رضي الله عنهُ-: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَلَّى إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ البَيْتِ. . . الحديث. ثُمَّ بعدَ ذلكَ أمرَهُ اللهُ تعالى باستقبالِ الكعبةِ (البيتِ الحرام) وذلكَ في قولِهِ تعالَى: فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ} [البقرة: 144] فأمرَ اللهُ تعالَى نبيَّهُ في هذه الآيةِ باستقبالِ الكعبةِ، ومِن ذلكَ الوقتِ صارتْ الكعبةُ قبلتَهُ ﷺ، وقبلةَ أمتِهِ مِن بعدِهِ.

أيُّها السادةُ: لقد كان تحويلُ القبلةِ حدثًا جللًا عظيمًا، فيهِ مِن الدروسِ والعبرِ الكثيرُ والكثيرُ، والتي ينبغِي الوقوفُ معهَا للاستفادةِ منها، لِمَن كان لهُ قلبٌ أو ألقَى السمعَ وهو شهيدٌ.

أولُها :تحويلُ القبلةِ محنةٌ وابتلاءٌ واختبارٌ وتمحيصٌ ليتميزَ الصفُّ فكانت الفارقَ بينَ مَن يعبدُ اللهَ ومَن يعبدُ هواهُ، سرعةُ الاستجابةِ والامتثالُ لأوامرِ الشرعِ ولو تعارضتْ مع أهواءِ النفسِ، وتصادمتْ مع آراءِ الناسِ، قال ابنُ القيمِ: كان للَّهِ في جعلِ القبلةِ إلى بيتِ المقدسِ ثُمّ تحويلِهَا إلى الكعبةِ حكمٌ عظيمةٌ، ومحنةٌ للمسلمينَ والمشركينَ واليهودِ والمنافقين. فأمَّا المسلمونَ فقالوا: سمعنَا وأطعنَا وقالوا: {آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا} [آل عمران: 7] وهم الذين هدَى اللهُ، ولم تكنْ كبيرةً عليهم، وأمَّا المشركونَ فقالوا: كما رجعَ إلى قبلتِنَا، يوشكُ أنْ يرجعَ إلى دينِنَا، وما رجعَ إليها إلّا أنّهُ الحقُّ. وأمّا اليهودُ فقالُوا: خالفَ قبلةَ الأنبياءِ قبلَهُ، ولو كان نبيًّا لكانَ يُصلِّي إلى قبلةِ الأنبياءِ، وأمَّا المنافقونَ فقالُوا: ما يدرِي محمدٌ أين يتوجّهُ، إنْ كانت الأولى حقًّا فقد تركهَا، وإنْ كانت الثانيةُ هي الحقُّ فقد كان على باطلٍ، وكثُرتْ أقاويلُ السفهاءِ مِن الناسِ، وكانت كما قالَ اللهُ تعالى: {وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ} [البقرة: 143] وكانت محنةً مِن اللهِ امتحنَ بهَا عبادَهُ ليرَى مَن يتبعُ الرسولَ منهم مِمَّن ينقلبُ على عقبيهِ. فعندمَا تُبتلَى النفوسُ يتبيّنُ مَنْ يعبدُ اللهَ مِمّنْ يعبدُ هواهُ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ قال: لقينِي راهبٌ فقال: يا سعيد، في الفتنةِ يتبيّنُ مَن يعبدُ اللهَ مِمّن يعبدُ الطاغوت. وعندمَا تُبتلَى النفوسُ يظهرُ مَن يعبدُ اللهَ على حرفٍ مِمّن رسختْ أقدامُهُ في الإيمانِ، قال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ} [الحج: 11] وعندما تُبتلَى النفوسُ يتبينُ مَن يعبدُ اللهَ رجاءَ ما عندَ اللهِ، مِمّن لا يريدُ إلّا الدنيا، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رضي اللهُ عنهما- قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ يَقْدَمُ المَدِينَةَ، فَإِنْ وَلَدَتِ امْرَأَتُهُ غُلاَمًا، وَنُتِجَتْ خَيْلُهُ، قَالَ: هَذَا دِينٌ صَالِحٌ،

وَإِنْ لَمْ تَلِدِ امْرَأَتُهُ وَلَمْ تُنْتَجْ خَيْلُهُ، قَالَ: هَذَا دِينُ سُوءٍ؟ يارب سلم قال جل وعلا((وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ ۚ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ)) سورة الحج11

ومِن الدروسِ والعبرِ مِن تحويلِ القبلةِ :مكانةُ النبيّ ﷺ ومنزلتُهُ عندَ ربِّهِ سبحانَهُ وتعالى وكيف لا ؟وهو إمامُ الأنبياءِ وإمامُ الأتقياءِ وإمامُ الأصفياءِ وكيف لا وهو قدوتُنَا وأسوتُنَا ومعلمُنَا ومرشدُنَا بنصّ مِن عندِ اللهِ ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: 21 ،قال جل وعلا: ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ [البقرة: 144].فقد كان ﷺ يقلّبُ وجهَهُ في السماءِ، يحبُّ أنْ يصرفَهُ اللهُ عزّ وجلَّ إلى الكعبة، حتى صرَفَهُ اللهُ إليها.

ومِن الدروسِ والعبرِ مِن تحويلِ القبلةِ :مكانةُ الأمةِ الإسلاميةِ وفضلُهَا عندَ اللهِ جلَّ وعلا، فالأمةُ الإسلاميةُ لها مكانةٌ عظيمةٌ بينَ الأممِ منها: أنَّها الأمةُ الوسطُ فقد قالَ تعالَى :﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: 143]، يقولُ ابنُ كثيرٍ في تفسيرِه: إنّمَا حولنَاكُم إلى قبلةِ إبراهيمَ عليه السلامُ، واخترناهَا لكُم لنجعلَكُم خيارَ الأممِ، لتكونُوا يومَ القيامةِ شهداءَ على الأممِ؛ لأنَّ الجميعَ معترفونَ لكم بالفضلِ، فهذه الأمةُ هي الأمةُ الوسطُ في التصورِ والاعتقادِ، وفي التفكيرِ والشعورِ في التنظيمِ والتنسيقِ، في الارتباطاتِ والعلاقاتِ، وحتى في المكانِ في سُرةِ الأرضِ وأوسطِ بقاعِهَا.ومنها: أنَّها أعظمُ الأممِ وأسبقُهَا فضلًا، قال اللهُ تعالى :﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمةٍ أُخْرِجَتْ لِلناسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ ﴾]آل عمران:110وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي اللهُ عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :(نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَولُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَولُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنةَ) (رواه مسلم)، لذا ينبغِي علينَا عدمُ الإعجابِ بالأممِ الكافرةِ والاقتداءِ بهِم في ضلالِهِم، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ -رضي اللهُ عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ). قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ آلْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: (فَمَنْ). (متفق عليه)

ومِن أعظمِ الدروسِ والعبرِ :سرعةُ الاستجابةِ لأمرِ اللهِ وأمرِ رسولِهِ ﷺ، والاستجابةُ هي الخضوعُ والانقيادُ والطاعةُ للهِ ولرسولِهِ ﷺ والاستجابةُ هي أنْ ينقادَ قلبُكَ وجوارحُكَ وأقوالُكَ وأفعالُكَ وجميعُ حالِكَ لأوامرِ الدينِ ونواهيهِ، والاستجابةُ للهِ والرسولِ هي الاستجابةُ للإسلامِ بكلّ ما فيهِ، استِجابةٌ شاملةٌ واسعةٌ في كلّ شيءٍ ،فالمسلمُ عبدٌ للهِ تعالى، يسلّمُ لأحكامِه وينقادُ لأوامرِه بكلّ حبٍّ ورضَا، ويستجيبُ لذلك، ويسارعُ للامتثالِ بكلّ ما أوتِيَ مِن قوةٍ وجهدٍ، فأصلُ الإسلامِ التسليمُ، وخلاصةُ الإيمانِ الانقيادُ، وأساسُ المحبةِ الطاعةُ، لذا كان عنوانُ صدقِ المسلمِ وقوةُ إيمانِه هو فعلُ ما أمرَ اللهُ والاستجابةُ لحكمِهِ، والامتثالُ لأمرِهِ في جميعِ الأحوالِ، لا يوقفُهُ عن الامتثالِ والطاعةِ معرفةُ الحكمةِ واقتناعهُ بهَا، لأنَّهُ يعلمُ علمَ اليقينِ، أنَّه ما أمرَهُ اللهُ تعالَى بأمرٍ ولا نهاهُ عن شيءٍ، إلّا كان في مصلحتِه، سواءٌ علمَ ذلك أو لم يعلمْهُ، كما قالَ تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ

الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا } [الأحزاب: 36]، هذه الطاعةُ، وذلك التسليمُ، الذي أقسمَ اللهُ تعالى بنفسِهِ على نفيِ الإيمانِ عمَّن لا يملكهُ في قولِه تعالى: { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء: 65]، والصحابةُ رضي اللهُ عنهُم ضربُوا أروعَ الأمثالِ في سرعةِ امتثالِهم لأوامرِ الشرعِ، فلمَّا أُمِرُوا بالتوجهِ إلى المسجدِ الحرامِ سارعُوا وامتثلُوا، بل إنَّ بعضَهُم لَمَّا علِمَ بتحويلِ القبلةِ وهُم في صلاتِهم تحولُوا وتوجهُوا إلى القبلةِ الجديدةِ في نفسِ الصلاةِ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي اللهُ عنهما قَالَ: بَيْنَما النَّاسُ بِقُبَاءٍ فِي صَلاَةِ الصُّبْحِ، إِذْ جَاءَهُمْ آتٍ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ اللَّيْلَةَ قُرْآنٌ وَقَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الكَعْبَةَ فَاسْتَقْبِلُوهَا، وَكَانَتْ وُجُوهُهُمْ إِلَى الشَّامِ فَاسْتَدَارُوا إِلَى الكَعْبَةِ))رواه البخاري. وعَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، صَلَّى قِبَلَ بَيْتِ المَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ البَيْتِ، وَأَنَّهُ صَلَّى أَوَّلَ صَلاَةٍ صَلَّاهَا صَلاَةَ العَصْرِ، وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ صَلَّى مَعَهُ، فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ مَسْجِدٍ وَهُمْ رَاكِعُونَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ بِاللَّهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قِبَلَ مَكَّةَ، فَدَارُوا كَمَا هُمْ قِبَلَ البَيْتِ. بادرْ واستجبْ لربِّكَ وهو يدعُوكَ إلى الصلواتِ الخمسِ في كلِّ يومٍ وليلةٍ، وأدِّهَا مع جماعةِ المسلمين كمَا يحبُّ. بادرْ واستجبْ لربِّكَ في كلِّ أمرٍ أمرَكَ بهِ. بادرْ واستجبْ لربِّكَ في تركِ كلِّ ما حرَّمَ عليكَ مِن صغيرٍ أو كبيرٍ مِن ظلمِ العبادِ والغشِّ في المعاملةِ والكذبِ أو الغيبةِ، وأكلِ الربَا، والنظرِ إلى الحرامِ، وشربِ الحرامِ مِن المسكراتِ والدخانِ وغيرِهَا، وقُلْ كمَا قالَ الأولون: انتهينَا انتهينَا ربَّنَا .بادرْ بالأعمالِ الصالحةِ قبلَ أنْ تغادرَ الحياةَ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنْ الدُّنْيَا)) رواه مسلمٌ، ولله درُّ الشافعيِّ رحمَهُ اللهُ:

تَعصِي الإِلَهَ وَأَنتَ تُظهِرُ حُبَّهُ *** هَذا مَحالٌ في القِياسِ بَديعُ
لَو كانَ حُبُّكَ صادِقًا لَأَطَعتَهُ *** إِنَّ المُحِبَّ لِمَن يُحِبُّ مُطيعُ

ومِن الدروسِ والعبرِ مِن تحويلِ القبلةِ :نتعلمُ مِن الصحابةِ الأخيارِ الأطهارِ درسًا في معنَى الأخوةِ والمحبةِ والألفةِ والتعاونِ، فالأخوةُ نعمةٌ ربانيةٌ، ومنحةٌ إلهيةٌ، يقذفُهَا اللهُ في قلوبِ عبادِهِ الأصفياءِ وأوليائِهِ الأتقياءِ، فالأخوةُ الموصولةُ بحبلِ اللهِ نعمةٌ امتنَّ بهَا ربُّنَا جلّ وعلا على المسلمينَ الأوائلِ، قالَ ربُّ العالمين: {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } ال عمران 103، لذا جمعَ اللهُ بينَ الإيمانِ والأخوةِ فقالَ سبحانه: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}، فالمؤمنونَ جميعًا كأنَّهُم روحٌ واحدٌ، وصدقَ النبيُّ ﷺ إذ يقولُ كما في صحيحِ مسلمٍ مِن حديثِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى) (متفق عليه)، فلقد أظهرَ تحويلُ القبلةِ حرصَ المؤمنِ على أخيهِ وحبِّ الخيرِ لهُ، فحينمَا نزلتْ الآياتُ التي

تأمرُ المؤمنينَ بتحويلِ القبلةِ إلى الكعبةِ، تساءلَ المؤمنونَ عن مصيرِ عبادةِ إخوانِهم الذين ماتُوا وقد صلُّوا نحو بيتِ المقدسِ، فأخبرَ اللهُ عزَّ وجلَّ أنَّ صلاتَهُم مقبولةٌ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي اللهُ عنهما قَالَ: لَمَّا تَوَجَّهَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْكَعْبَةِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: فَكَيْفَ الَّذِينَ مَاتُوا، وَهُمْ يُصَلُّونَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: { وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ}[البقرة:143]، وهكذا الأخوةُ الصادقةُ لا تنقطعُ بالموتِ، بل لا تنقطعُ في أحلكِ الظروفِ في عرصاتِ القيامةِ، فعن أبي سعيدٍ الخدري رضي اللهُ عنه أنَّ النبيَّ ﷺ ذكرَ شفاعةَ بعضِ المؤمنينَ لإخوانِهم، فقالَ: (فيقولون: رَبَّنَا إِخْوَانُنَا، كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا، وَيَصُومُونَ مَعَنَا، وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: اذْهَبُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ)، اللهَ اللهَ في الأخوةِ الصادقةِ الخالصةِ لوجهِ اللهِ جلّ وعلا، لذا قال الحسنُ البصريُّ: استكثرُوا مِن الأصدقاءِ المؤمنينَ فإنَّ لهم شفاعةً يومَ القيامةِ.

مِن دروسِ حادثةِ تحويلِ القبلةِ المهمة :حقيقةُ الصراعِ بينَا وبينَ اليهودِ فليسَ صراعَ أرضٍ وحدودٍ إنّما صراعُ عقيدةٍ ووجودٍ حيثُ وضّحتْ للمسلمين طبيعةَ الكفارِ وأنّهم لن يرضُوا أبدًا عن المسلمينَ إلّا أنْ يتبعوهُم ويكونُوا مثلَهُم، قال جلّ وعلا: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} [البقرة: 120]، قال تعالى في معرضِ حديثِ الآياتِ عن القبلةِ: { وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ } [البقرة: 145]، وهنا ندركُ أصالةَ عدوانِ هؤلاءِ للإسلامِ والمسلمين، فقد شنُّوا حربًا إعلاميةً ضاريةً في أعقابِ حدثِ تحويلِ القبلةِ، ولقد فُتنَ ضعافُ الإيمانِ كما فُتنَ إخوانُهُم في حادثِ الإسراءِ والمعراجِ، وإنَّ المتأملَ لآياتِ تحويلِ القبلةِ – وهي تردُّ شبهاتِ اليهودِ – يتبينُ لهُ مدَى ضراوةِ الحربِ الإعلاميةِ والفكريةِ التي شنَّهَا اليهودُ، وما زالُوا إلى اليومِ يسيطرونَ على القنواتِ والأبواقِ الإعلاميةِ المسموعةِ والمرئيةِ، وكلُّ همهِم هو تشويهُ صورةِ المسلمينَ وتشتيتُ شملِهِم، وحالهِم كما قال اللهُ تعالى { وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا } [المائدة: 64]

ومِن دروسِ حادثةِ تحويلِ القبلةِ المهمة :توحدُنَا وتوحيدُنَا مِن كلِّ اتجاهٍ، في أنحاءِ الأرضِ جميعًا، قبلةٌ واحدةٌ تجمعُ هذه الأمةَ وتوحّدُ بينهَا على اختلافِ مواطنِهَا، واختلافِ مواقعِهَا مِن هذه القبلةِ، واختلافِ أجناسِهَا وألسنتِهَا وألوانِهَا، قبلةٌ واحدةٌ، تتجهُ إليهَا الأمةُ الواحدةُ في مشارقِ الأرضِ ومغاربِهَا، فتشعرُ أنَّها جسمٌ واحدٌ، وكيانٌ واحدٌ، تتجهُ إلى هدفٍ واحدٍ، وتسعَى لتحقيقِ منهجٍ واحدٍ، منهجٍ ينبثقُ مِن كونِهَا جميعًا تعبدُ إلهًا واحدًا، وتؤمنُ برسولٍ واحدٍ، وتتجهُ إلى قبلةٍ واحدةٍ. فالمسلمونَ يتعلمونَ مِن وحدةِ القبلةِ، وحدةَ الأمةِ في الهدفِ والغايةِ، وأنَّ الوحدةَ والاتحادَ ضرورةٌ في كلِّ شئونِ حياتِهم الدينيةِ والدنيويةِ، قالَ تعالى: {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: 92]لكن هل هذه هي أمةٌ دستورُهَا القرآنُ..، ونبيُّهَا المصطفَي العدنان.. ما الذي غيّرَهَا وما الذي بدَّلَهَا؟ ما الذي حدثَ؟ وما الذي جرَى؟ أمةٌ ذلتْ بعدَ عزةٍ...!!وضعفتْ بعدَ قوةٍ...!!وجَهلتْ بعدَ علمٍ !!...وصدقَ قولُ نبيّنَا ﷺ إذ يقولُ كما في حديثِ ثوبانَ: «يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمُ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا قَالَ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمِنْ قِلَّةٍ بِنَا

يَوْمَئِذٍ قَالَ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنْ تَكُونُونَ غُثَاءً كَغُثَاءِ السَّيْلِ يَنْتَزِعُ الْمَهَابَةَ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ قَالَ قُلْنَا وَمَا الْوَهْنُ قَالَ حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ ((لكن كيفَ كُنَّا بالأمسِ؟ وكيفَ أصبحنَا اليوم؟ عندما ذهبَ عمرُ بنُ الخطابِ رضى اللهُ عنه ليتسلمَ مفاتحَ بيتِ المقدسِ وهو يلبسُ ثيابًا مرقعًا ويضعُ نعليهِ على عاتقِه، فقال أبو عبيدةَ يا أميرَ المؤمنين لا أحبُّ أنْ يراكَ القومُ على هذه الحالةِ، فقال أوهٍ لو يقلْ ذا غيرُكَ أبا عبيدةَ جعلتُهُ نكالًا لأمةِ مُحمدٍ ﷺ، إنّا كنّا أذلَّ قومٍ فأعزّنَا اللهُ بالإسلامِ، فمهمَا ابتغينَا العزةَ بغيرِ ما أعزّنَا اللهُ بهِ أذلّنَا اللهُ. فالعزةُ للهِ ولرسولِه وللمؤمنين بوعدِ اللهِ وصدقِ رسولِه ﷺ

ومِن الدروسِ والعبرِ مِن تحويلِ القبلةِ :أنَّ مَن عاشَ على القبلةِ ماتَ عليهَا، فعن عبدِ الرحمنِ بنِ الحارثِ المخزومِي، قال: اشتدَّ وجعُ سعيدِ بنِ المسيبِ، فدخلَ عليهِ نافعُ بنُ جبيرٍ يعودُهُ، فأُغمِيَ عليهِ، فقالَ نافعٌ: وجهوهُ إلى القبلةِ. ففعلُوا، فأفاقَ، فقالَ: مَن أمرَكُم أنْ تُحوّلُوا فراشِي إلى القبلةِ، أنافعٌ؟ قال: نعم. قال له سعيدٌ: لئن لم أكنْ على القبلةِ والملةِ واللهِ لا ينفعنِي توجيهُكُم فراشِي).

ومِن أعظمِ الوقفاتِ والدروسِ **اللهَ اللهَ في المسجدِ الأقصَى والمسجدِ الحرامِ. فلقد شرّفَ اللهُ المساجدَ وعظمَهَا، وأعلَى شأنَهَا ورفعَ قدرَهَا، واختارَ مِن بينهَا المساجدَ الثلاثةَ المشهورةَ المعروفةَ، المسجدَ الحرامَ، والمسجدَ الأقصَى، ومسجدَ النبيِّ ﷺ، ويكفِيهَا قدرًا وفخرًا وشرفًا أنَّ اللهَ اختارَهَا مِن بينَ المساجدِ كلِّهَا، وما ذلك إلّا لعظمةِ شأنِهَا وعلوِّ منزلتِهَا. فالمسجدُ الحرامُ هو أولُ مسجدٍ وُضعَ في الأرضِ، وهو قبلةُ المسلمينَ إلى قيامِ الساعةِ، وأحدُ المساجدِ التي يُشدُّ إليها الرحالُ، والبقعةُ التي حرّمَ اللهُ فيها القتالَ، ومنه انطلقتْ رحلةُ الإسراءِ والمعراجِ، يقولُ اللهُ جلَّ وعلا: (وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) [البقرة : 125].وأمَّا المسجدُ الأقصَى فإنَّهُ ثاني مسجدٍ وُضِعَ في الأرضِ، وقبلةُ المسلمينَ الأولى، صلَّى إليهِ المسلمونَ ستةَ عشرَ شهرًا، وأحدُ المساجدِ التي يُشدُّ إليها الرحالُ، وإليهِ انطلقتْ رحلةُ الإسراءِ مِن المسجدِ الحرامِ، وقد وصفَ اللهُ أرضَ بيتِ المقدسِ بصفاتِ البركةِ والطهرِ والقدسيةِ، كما قال -تباركَ وتعالى- حاكيًا عن موسى عليهِ السلامُ: (يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ) [المائدة:21]، فوصفَهَا بالقداسةِ والطهارةِ، وقالَ عزَّ وجلَّ: (وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا)، وقالَ: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَه) [الإسراء:1]، فهناكَ علاقةٌ وثيقةٌ بينَ المسجدينِ لا يذكرُ المسجدُ الحرامُ إلّا ويذكرُ معهُ المسجدُ الأقصَى لِمَا بينهمَا مِن علاقةٍ روحيةٍ مباشرةٍ، فالمسجدُ الحرامُ هو الأخُ الشقيقُ الأكبرُ للمسجدِ الأقصَى، وبينهمَا مسافةٌ زمنيةٌ قصيرةٌ أخبرَ عنهَا الرسولُ ﷺ في الحديثِ الذي أخرجَهُ البخاري ومسلمٌ، فعن أَبَي ذَرٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، قَالَ: "قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الأَرْضِ أَوَّلَ؟ قَالَ: المَسْجِدُ الحَرَامُ قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ المَسْجِدُ الأَقْصَى قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً، ثُمَّ أَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلاَةُ بَعْدُ فَصَلِّهْ، فَإِنَّ الفَضْلَ فِيهِ" [متفق عليه]، وهذه العلاقةُ الروحيةُ بينَ المسجدينِ ذكرَهَا النبيُّ ﷺ**

في الحديثِ المتفقِ عليهِ يقولُ ﷺ: "لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ: المَسْجِدِ الحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ، وَمَسْجِدِ الأَقْصَى" (متفق عليه) ، لأنَّ اللهَ اختارَهَا وجعلَ الصلاةَ فيهَا أفضلَ مِن الصلاةِ في غيرِهَا، ووردَ في حديثٍ آخر إلّا أنَّ فيه ضعفًا عَنْ عَائِشَةَ -رضي الله عنها-، أَنَّهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ "صَلاَةٌ فِي مَسْجِدِي خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلاَةٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْمَسَاجِدِ، إِلَّا الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى " رواه أحمد (وإنّ هذا الربطَ بينَ المسجدينِ يشعرُ المسلمينَ بمسؤوليتِهم نحو المسجدِ الأقصَى ونحو تحريرِهِ، وهذا الرّبطُ يشعرُ بأنّ التهديدَ للمسجدِ الأقصَى تهديدٌ للمسجدِ الحرامِ، وأنّ النّيلَ مِن المسجدِ الأقصَى توطئةٌ للنيلِ مِن المسجدِ الحرامِ؛ لأنّ المسجدَ الأقصَى بوّابةُ الطّريقِ إلى المسجدِ الحرامِ، وزوالُ المسجدِ الأقصَى مِن أيدِي المسلمينَ ووقوعُهُ في أيدِي اليهودِ هو في حدّ ذاتِه تهديدٌ للمسجدِ الحرامِ وللبلادِ الإسلاميةِ بأسرِهَا، فكلّهَا مقدساتٌ إسلاميةٌ واحدةٌ. فاللهَ اللهَ في قبلتِنَا، اللهَ اللهَ في إسلامِنَا ودينِنَا، اللهَ اللهَ في المسجدِ الأقصَى، اللهَ اللهَ في المسجدِ الحرامِ، اللهَ اللهَ في وحدتِنَا وتوحيدِنَا، اللهَ اللهَ في نصرةِ المسلمينَ في غزةَ وغيرِهَا.

دِينِي هو الإسلامُ دينُ محبَّةٍ *** دِينُ السلامَةِ سَالِمُ البُنيَانِ
دِينُ المَودَّةِ والتسامُحِ والهُدَى *** شَتَّانَ بين الحَقِّ والبُهتَانِ

أقولُ قولِي هذا واستغفرُ اللهَ العظيمَ لِي ولكُم

الخطبةُ الثانية الحمدُ للهِ ولا حمدَ إلَّا لهُ وبسمِ اللهِ ولا يستعانُ إلَّا بهِ وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَه وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ..... وبعدُ

ثانيــًا وأخيرًا: الشائعاتُ خطرٌ جسيمٌ.

أيُّها السادةُ: بدايةً اعلمُوا جميعاً أنّ فتنةَ ترويجِ الشائعاتِ الهادمةِ مِن أعظمِ الفتنِ التي تتعرضُ لهَا مصرُنَا الحبيبةُ في هذه الأيام، وليست البناءة، الشائعاتُ المغرضةُ التي لا تريدُ لهذهِ البلدةِ الأمنِ والأمانِ، فالحذرَ الحذرَ مِن تلكمُ الشائعاتِ، فالشائعاتُ خطرُهَا عظيمٌ وأثرُهَا بليغٌ، فهي أخطرُ مِن الأسلحةِ الفتاكةِ والمدمرةِ التي تدمرُ المجتمعاتِ والأشخاص، فكم أقلقت مِن أبرياء، وكم سفكت مِن دماءٍ، وكم هدمت مِن بيوتٍ وكم مزقت مِن أسرٍ ومجتمعاتٍ ..... فكم أفسدت الإشاعةُ مِن أعمالِ الصالحين، وكم أحبطت مِن أجورِ العاملين، وكم جلبت مِن سخطِ ربِّ العالمين، فالإشاعةُ فاكهةُ الأرز لين، وسلاحُ العاجزين، وداءُ المذنبين . فكم حطمت الإشاعةُ مِن عظماء، وكم تسببت الشائعاتُ في جرائم، وكم فككت الإشاعةُ مِن علاقاتٍ وصداقاتٍ، وكم هزمت الإشاعةُ مِن جيوشٍ، وكم أخرت الإشاعةُ في سيرِ أقوامٍ.....ولا حول ولا قوة إلا بالله

وما أكثرَ الإشاعاتِ التي تنتشرُ في مجتمعِنَا ونسمعُهَا هذه الأيام، إشاعاتٌ مقصودةٌ، وإشاعاتٌ غيرُ مقصودةٍ، فلا يكادُ يشرقُ شمسُ يومٍ جديدٍ إلّا وتسمعُ بإشاعةٍ، مِن هنا أو مِن هناك، فلا شكَّ أنَّ استشعارَ أمانةِ الكلمةِ، وأنَّ المرءَ مسؤولٌ عنهَا، مِن أهمّ دوافعِ التثبُّتِ والتحرُّزِ قبلَ نقلِ أيّ حديثٍ أو معلومةٍ، فعن أبي هريرةَ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ : " كفى بالمرءِ إثمًا أنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ ما سمع "رواه الحاكم.

بل أصبحنَا نعيشُ زمانًا نطقت فيهِ الرُّوَيْبِضَةُ في الإعلامِ وعلى شبكاتِ الإنترنت، وهو الرجلُ التافهُ الذي يتكلمُ في أمرِ العامةِ، صارَ كثيرٌ مِمّن لا يُعرفونَ وهُم في

الحقيقةِ ناقصُو علمٍ وعقلٍ، وليس لهم مِن الأمرِ شيء، صاروا يتكلّمون في أمرِ الأمةِ ويوجهونَ، ويحكمونَ على الناسِ وأديانِهم، ويكفّرونَ ويبدّعونَ مَن يشاءون: ((يا أيُّها الذين آمنوا إنْ جاءَكُم فاسقٌ بنبأٍ فتبينُوا أنْ تصيبُوا قوماً بجهالةٍ فتصبحُوا على ما فعلتُم نادمين))، وصدقَ النبيُّ الأمينُ إذ يقولُ كما في حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتُ يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ قِيلَ وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ قَالَ الرَّجُلُ التَّافِهُ يتكلم فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ))، ألم يقعْ ما أخبرَ بهِ الصادقُ الأمينُ، أصبحَ الخائنُ يُأمَّنُ والمؤتمنُ يُخوَّنُ ويُصدَّقُ الكاذبُ ويُكذَّبُ الصادقُ ويتكلمُ التافهُ في أمرِ الناسِ ولا حولَ ولا قوةَ إلّا باللهِ، أصبحنَا في زمانٍ أقبلَ الناسُ فيهِ على المسيءِ ..وأعرضَ الناسُ فيهِ عن المحسنِ، عظمُوا أهلَ الفسادِ وشوهُوا أهلَ الصلاحِ ...تبدلت الموازينُ وتغيرت الأفكارُ ولا حول ولا قوةَ إلّا باللهِ. لذا نادي اللهُ على أهلِ الإيمانِ بنداءِ الكرامةِ في القرآنِ مَن ؟ الذين امنوا باللهِ ربًّا، وبالإسلامِ دينا، وبمُحمدٍ رسولاً ونبياً، وبالكعبةِ قبلةً، وبالقرآنِ منهجاً ودستوراً، وبالمؤمنين إخوانًا، فقالَ تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ)[سورة الحجرات (12)

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ « إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَلاَ تَحَسَّسُوا وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ تَنَافَسُوا وَلاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا))

وهكذا، في كلِّ زمانٍ ومكانٍ تجدُ أنَّ الشائعةَ واختلاقَ الأكاذيبِ ونقلَ الأخبارِ غير الصحيحةِ، وتصويرَ الأمورِ على غيرِ حقيقتِهَا، أصبحَ سلوكاً، يتصفُ أصحابُهُ بالضعفِ، وخبثِ النفسِ، وقلةِ الحياءِ، وانعدامِ المروءةِ، وخساسةِ الهمةِ، ولؤمِ الطباعِ، قال جلَّ وعلا: (لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً * مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا] (الأحزاب:60، وصدقَ نبيُّنَا ﷺ إذا يقولُ كما في البخاري ومسلمٍ مِن حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ)) وَلِلتِّرْمِذِيِّ وَابْنِ مَاجَهْ { إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لَا يَرَى بِهَا بَأْسًا يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا فِي النَّارِ }سلم يارب سلم

وإِنْ كَانَتْ الشَّائِعَاتُ فِي الزَّمَنِ الْأَوَّلِ، تَنْتَشِرُ انْتِشَارَ النَّارِ بِالْهَشِيمِ، إِمَّا عَنْ طَرِيقِ أَشْعَارٍ، أَوْ أَمْثَالٍ، لِسَانٌ يَتَلَقَّى عَنْ لِسَانٍ، وَوَقْعَ ضَرَرُهَا، وَبَانَ خَطَرُهَا .فَكَيْفَ بِزَمَنِنَا هَذَا الَّذِي كَثُرَتْ فِيهِ وَسَائِلُ التَّوَاصُلِ الإِجْتِمَاعِيِّ، وَسَهُلَ نَشْرُ الْخَبَرِ، فَمَا هِيَ إِلَّا ثَوَانٍ وَتَعِجُّ جَمِيعُ وَسَائِلِ التَّوَاصُلِ بِبَثِّ هَذَا الْخَبَرِ، وَهُوَ لَا يَعْدُوا أَنْ يَكُونَ شَائِعَةً، فَطَالَمَا سَمِعَ النَّاسُ خَبَرَ مُشَاهَدَتِهِ بِالْمَلَايِينِ، بَانَ بَعْدَ نَشْرِهِ بِدَقَائِقَ أَنَّهُ كَاذِبٌ، كَأَخْبَارٍ وَفَيَّاتٍ كَاذِبَةٍ، تَضَرَّرَ مِنْهَا ذَوِي المُشَاعِ عَنْهُ، وَكَذَلِكَ نَشْرُ أَخْبَارٍ اقْتِصَادِيَّةٍ، وَاجْتِمَاعِيَّةٍ، وَسِيَاسِيَّةٍ، إِقْلِيمِيَّةٍ أَوْ دولِيَّةٍ، بِأَنَّ مُرَوِّجُهَا أَفَّاكٌ مُبِينٌ، وَمُفْسِدٌ كَبِيرٌ، وَيَحْسَبُهَا كُلّ مَنْ

رَوَّجَهَا هَيِّنَةٌ، وَهِيَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمَةٌ، فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ بِنَفْسِهِ، وَأَلَّا يَكُونَ مَصْدَرَ شَرٍّ أَوْ شَائِعَةِ فَسَادٍ.

وإِنَّ مِنْ أَشَرِّ الشَّائِعَاتِ الَّتِي فِيهَا مَسٌّ لِلْأَعْرَاضِ، وَتَتَبُّعٌ لِلْعَوْرَاتِ، وَهَتْكٌ لِلْأَسْتَارِ، وَبَثٌّ لِلْأَسْرَارِ، وَقَدْ حَذَّرَ الرَّسُولُ ﷺ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ: «يا مَعشَرَ مَن آمَن بلسانِهِ ولم يدخُلِ الإيمانُ قلبَهُ، لا تغتابوا المُسلِمينَ، ولا تتَّبِعوا عَوْراتِهم؛ فإنَّه مَن اتَّبَع عَوْراتِهم يتَّبِعِ اللهُ عَوْرتَهُ، ومَن يتَّبِعِ اللهُ عَوْرتَهُ يفضَحْهُ في بيتِهِ.«

ينبغي أنْ ندركَ خطورةَ الشائعاتِ ونقلِ الكلامِ دونَ تثبتٍ في تدميرِ العلاقاتِ وتأجيجِ الخلافاتِ وافتعالِ الأزماتِ، بل يتعدَّى خطرُهَا إلى حياةِ المجتمعاتِ والشعوبِ والأوطانِ، وعلى إثرِهَا قد تتعطلُ المصالحُ وتفسدُ الحياةُ .

وعلى المسلمِ أنْ يحسنَ الظنَّ بإخوانِهِ، وأنْ لا يتحدثَ بكلِّ ما سمعَهُ ولا ينشرُهُ، فإنَّ المسلمينَ لو لم يتكلمُوا بمثلِ هذه الشائعاتِ لماتتْ في مهدِهَا ولم تجدْ مَن يحييهَا.

وقد تكونُ بعضُ الشائعاتِ حقائقَ أو أخطاءَ وقعَ فيهَا أفرادٌ أو مجتمعٌ أو مؤسساتٌ، وهنا يظهرُ المسلمُ الحقُّ الذي ينظرُ إلى المصالحِ والمفاسدِ والخيرِ والشرِّ، ويردُّ الأمرَ ويسألُ عنهُ أصحابَ الرأيِ والمشورةِ والحكمةِ والإيمانِ والتقوى، قال -تعالى-) :وإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ورَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً] (النساء:83.[وعلى المسلمِ أنْ يوثقَ صلتَهُ بربِّهِ فيدركُ أنّهُ ما مِن شيءٍ يقعُ في الأرضِ ولا في السماءِ إلّا بأمرِهِ وإرادتِهِ، فهو يأوِي إلى ركنٍ عظيمٍ، فلا ترهبهُ الشائعاتُ، ولا تخيفُهُ الأقاويلُ، ولا تضعفهُ الأكاذيبُ والافتراءاتُ .وعلى المسلمِ أنْ يتذكرَ موقفَهُ بينَ يدي اللهِ يومَ القيامةِ عندمَا يفصلُ بينَ العبادِ ويقتصُّ للمظلومِ مِن الظالمِ. وأيُّ ظلمٍ أعظمُ مِن افتراءِ الكذبِ على الناسِ ونقلِهِ مِن مكانٍ لآخر؟ قال جلَّ وعلا: (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ] (الزمر:60)

احْفَظْ لِسَانَك أَيُّهَا الْإِنْسَانُ *** لَا يَلْدَغَنَّكَ إِنَّهُ ثُعْبَانُ

كَمْ فِي الْمَقَابِرِ مِنْ قَتِيلِ لِسَانِهِ *** كَانَتْ تَهَابُ لِقَاءَهُ الشُّجْعَانُ

حفظَ اللهُ مصرَ قيادةً وشعبًا مِن كيدِ الكائدين، وشرِّ الفاسدين وحقدِ الحاقدين، ومكرِ الماكرين، واعتداءِ المعتدين، وإرجافِ المُرجفين، وخيانةِ الخائنين.

كتبه العبد الفقير إلى عفو ر

د/ محمد حرز

إمام بوزارة الأوقاف